المحاضرة الأولى: مقياس أدب جزائري الأستاذة عزوزي بختة

العنوان: الأدب الجزائري القديم رواية الحمار الذهبي ل- لوكيوس أبوليوس-.

مقدمة:

يُعد الأدب الجزائري القديم جزءًا من التراث الثقافي الدي أسهم في تشكيل الهوية الحضارية لبلاد المغرب القديم، غير أنّ ما وصلنا منه يظلّ محدودا إذا ما تمت مقارنته بثرائه المفترض، ويُعزى هذا النقص إلى جملة من العوامل التاريخية، من أبرزها تعاقب فترات الاستعمار التي أسهمت في ضياع الكثير من الموروث المكتوب، إضافة إلى غلبة الطابع الشفهي على الإنتاج الأدبي، مما حال دون حفظه وتدوينه وانتقاله كاملا إلى الأجيال اللاحقة.

ومع ذلك، فقد حفظ لنا التاريخ بعض الشواهد الدالة على ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في هذه الربوع، وفي مقدمتها رواية – **الحمار الذهبي**- أو - **التحولات** –للأديب والفيلسوف الجزائري لوكيوس أبوليوس التي تعدّ العمل اللاتيني الوحيد الذي وصل كاملا إلينا، وهذا ما يدفعنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات وهي:

- إلى أيّ مدى يمكن أن نعتمد رواية الحمار الذهبي بوصفها شاهدا على هذا الأدب؟
- إلى أيّ حد يمكن اعتبار الرواية نصًا نقديًا يعكس تحولات المجتمع القديم؟

1/ التعريف بمؤلف الرواية:

يعدّ أبو ليوس واحدا من الأفارقة أو من أبناء شمال إفريقيا الذين برزوا في ميدان الأدب اللاتيني مثل: ماركوس، كورنيلوس، فرولتو، على أنّه فاقهم جميعا من حيث شمولية معارفه، وتنوع كتاباته في المجالات العلمية، والميادين الأدبية والشعرية ، وخاصة الكتابات القصصية والروائية، وإن لم يصلنا منها غير جزء ضئيل، ومن ثم اعتبر أبو ليوس بحق ممثل اللاتينية الإفريقية و وصف بأمير خطباء إفريقيا و أكثرهم نفوذا وشهرة في عصره، حتى ولو أهمله معاصروه من الأدباء ولم يتحدثوا عنه" [1]

ولقد وُلد عام 124أو 125 بعد الميلاد في مدينة مداور التي يطلق عليها اليوم اسم مداوروش، وكان ينتمي لعائلة غنية ومرموقة، حيث كان والده يشغل منصب رفيع – منصب الرجل الثاني – وهو نائب حاكم المدينة أو رئيس للبلدية، تعلم في مسقط رأسه، ثم أرسله والد إلى مدرسة عامة في مدينة قرطاج حيث برز وتفوق على أقرانه في النحو والبلاغة، ثم انتقل إلى أثينا حيث كانت له معرفة باللغة اللاتينية منذ صغره ليتعمق في الفلسفة، الهندسة، الموسيقى، الشعر، وكان للفلسفة مكانة خاصة في قلبه، وصفة الفيلسوف أفضل صفة ارتضاها لنفسه " [2]

أهم مؤلفاته:

- الدفاع: وهي مرافعة أو خطبة مطولة.
- الأزاهير: ويضم مجموعة من الخطب والملخصات النمثرية.
- عن إله سقراط: وهي رسالة عن القول التي يطلق عليها اسم الشياطين.
- عن أفلاطون وتعاليمه.
- عن العالم: وهو عبارة عن خلاصة لكتاب أرسطو عن الكون.

---

[1] - ينظر: لوكيوس أبو ليوس، الحمار الذهبي، ترجمة أبو العيد دودو، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط3، 2004م،ص05.

[2] - المرجع السابق، ص 6.7

المحاضرة الأولى: مقياس أدب جزائري الأستاذة عزوزي بختة

- الحمار الذهبي: وتعرف باسم رواية التحول.

2/ **بطاقة قراءة عن الرواية:**

العنوان: الحمار الذهبي **وتعرف أيضا برواية** – التحولات-
المؤلف: لوكيوس أبوليوس.
اللغة الأصلية: اللاتينية.
الترجمة: المترجم: أبو العيد دودو – نقلها من اللغة الألمانية إلى العربية-، **وهناك ترجمات أخرى ومنها: عمار الجلاصي، وترجمة علي فهم خشيم**
النوع الأدبي: رواية عجائبية.

في مضمون الرواية وأحداثها: لئن كانت الرواية في منظور النقد الحديث جنس أدبي معاصر، ارتبط في نشأته بتحولات المجتمع الأوربي في عصر النهضة وما تلاه، غير أننا إذا ما نبشنا في ذاكرة الأدب الإنساني سنجد نصًا متفردًا يكسر هذا الاحتكار الزمني والمكاني، وهو رواية – **الحمار الذهبي** - و التي تقع " في إطار الرواية الغرائبية أو العجائبية التي تتخذ من الأحداث الخيالية الغير الواقعية وسيلة فنية للتعبير عن رؤية الكاتب وموقفه من القضايا الإنسانية السائدة في المجتمع" [1]

ر واية الحمار الذهبي هي أول رواية وصلتنا كاملة، ويدرك القارئ منذ البداية في جو يوناني فالمؤلف نفسه يشير إلى ذلك في مطلع الرواية (مصدرها يوناني) وتدور أحداثها حول شاب اسمه لوكيوس يسافر من مدينته متوجها إلى هيباتا بسبب خلافات عائلية، وفي رحلته يسمع قصص بشعة من بعض المسافرين عن السحر، ولكنهما تثيره وتجذبه وعندما

[1] - يُنظر: محمد صلاح زكي أبو حميدة، البناء الفني رواية تحولات الجحش الذهبي ل لوكيوس أبو ليوس، بحث منشور على الأنترنت، جامعة الأزهر، غزة، 2011، ص 03

يصل المدينة يحل ضيفا على رجل بخيل يدعى ميلو، وزوجته بامفيلا تعمل في السحر وتتقنه، فيتقرب لوكيوس من خادمة بامفيلا لرؤيتها وهي تقوم بأعمالها السحرية و يشاهدها وهي تدهن نفسها بمسحوق لتتحول إلى طائر، فيطلب من الخادمة أن تحضره لها، وعندما يدهن نفسه يتحول إلى حمار فتأخذه الخادمة إلى الحظيرة على أن تجلب له عقار يعيد تحويله من جديد ولكن لصوص يسرقون البيت ويأخذون الحمار معهم، وبهذا تبدأ مغامرات لوكيوس الحمار وفي النهاية يتضرع للآلهة كي تخلصه من معاناته ويعود كما كان..

ولقد تداخلت الرواية مع أعمال أدبية سابقة ومن بينها أعمال لوقيانوس – لوكيوس والحمار- حيث تتضمن الرواية القصة نفسها التي يتضمنها كتاب التحولات والبطل نفسه – لوكيوس- وحتى المغامرات نفسها لكنهما يختلفان في الأحداث وسيرها والنهاية:

- نهاية الروايتان لا تتشابه حيث في:

- في رواية لوقيانوس عندما يرى الحمار في المسرح إكليل الورد يقبل على أكل أوراقه ويستعيد صورته الأصلية وبعدها مغامرات مسلية.

- رواية أبو ليوس: نهاية صوفية تمجد عبادة إيزيس وتنوه به"[1]

ففي النهاية بعد أن يبلغ البطل ذروة المعاناة، **يتوجه بالدعاء إلى الإلهة إيزيس**: " يا ربة الآلهة سواء كنت لكيريس الأم الواهبة للقمح أنت التي سعدت بالعثور على ابنتك الثانية فجعلت الحنطة الناعمة قوتا للبشرية بدل الطعام الذي كان مستمد من أشجار البلوط للإنسان والحيوان معا وتحكمت في التربة الإلويزية الخصبة أم كنت فينوس السماوية – أم أخت فوبوس – يا ذات الوجوه الثلاثة التي تمسك بزمام الأشباح المخيفة وتحافظ على قوانين الأرض وتطوف عبر الغابات وتقدم بها طقوس متنوعة أنت يامن تضيء بنورها النسوي كل منطقة وتغذي البذرة بنارها الندية، وتضبط شماعها المتغير حسب مجرى الشمس بأي اسم وبناء على أي تقليد، وفي أي صورة يجب أن أدعوك ساعديني أنت الآن في محنتي الكبيرة وأرفع سعادتي عن أنقاضها و أمنحيني بكل ما عانيت من ألام قاسية الراحة والهدوء ! كفاني متاعب، كفاني مخاطر ....ارم عني صورة الحيوان البشعة دعيني أرى هيئتي مرة أخرى دعيني أكن لوكيوس من جديد! وإذا كان قد وقع علي عبء غضب الآلهة ما فليكن من حقي أن أموت، إن لم يكن من حقي أن أحيا حياتي، .... أنظر إلي يا لوكيوس لقد نادتني دعوتك فجئت أنا أم الطبيعة وسيدة العناصر كلها وخلية الأجناس أميرة الأرواح وملكة الموتى وربة السماء جوهر الآلهة ضوء قبة السماء، نسمة البحر الشافية ...لقد جئت رحمة بك في عذاباتك، أنا هنا لأحسن إليك وأنعم إليك فاعزف عن البكاء وتخلى عن الشكوى....عندما يتشكل الموكب كما ينبغي سأمر الكاهن بربط إكليل من الورد في الصنج المعلق بيده اليمنى وهنا يجب عليك أن تندفع في الزحمة وتتبع الموكب واثقا من إرادتي بكل نشاط.....فأنت إذا ما اقتربت من الكاهن فارفع رأسك بهدوء كما لو أنك تريد أن تقبل يده واقطف الورد وستتخلص حالا من جلد هذا الحيوان ...سأكون قريبة كذلك من

[1] - ينظر: الرواية، ص 19

الجهة الأخرى وأمر كاهني في الحلم أن يفعل ما بقي ثم إن الناس سيتجنبونك بأمر مني في زحمة الموكب ولن يهتم أحد في غمرة الحفلة البهيجة والأبهة والاحتفالات بمنظرك الكريه... ولن يسيء أحد فهم تحولك المفاجئ ....ولكن ستكرس حياتك لخدمتي ....وهناك حياة مليئة بالمجد تنتظرك ...هكذا أنهت الآلهة حديثها التي لا تقهر والذي يبعث الهيبة في النفس وفي النهاية ظهر لي الإله في حلمي بعد أيام قليلة وكان أقوى وأكبر ومجدني وجها لوجه.. "[1]

- تستجيب له والبطل يستعيد شكله ويذهب إلى روما لا إلى وطنه.
- ورواية الحمار الذهبي هي رواية ساخرة تنتمي إلى أنموذج المغامرات القصصية، وهي عبارة عن تحول من الملحمة الشعرية إلى الملحمة النثرية.
- شخصية لوكيوس أو الحمار هي الشخصية الرئيسية التي تدور حولها أحداث هذه الرواية مع وجود شخصيات ثانوية أسهمت في تحريك السرد ومنها الآلهة.
- تعدّ هذه الرواية من الروايات الإطار – **تحتوي حكاية داخل حكاية**- صرح الروائي في البداية قائلا" أريد أن أضفر لك بأسلوب مليزي باقة من الحكايات المتنوعة، تدغدغ أذنك الصاغية برنين عذب، إذا كنت ممن لا يأنف من النظر في أوراق البردي المصرية، التي كتبتها بقصب النيل – إلى درجة أنك ستعجب كيف يتخذ بعض الناس أشكالا غريبة ثم يستعيدون صورهم الأصلية على وجه مغاير "[2]
- ومن أهم القصص التي جاءت في المتن الروائي: قصة البطل القوي أرسطو مينيس وبسيشة التي تتزوج بإله الحب كوبيدو وما يلحقها من عداء أختها وغيرة فينوس إلهة الجمال منها.
- توظيف الخطابات الدينية والفلسفية والأسطورية والصوفية.
- براعة الوصف وجودة الأسلوب المستخدم.
- تداخل في الرواية العقل مع السحر والوعي مع اللاوعي والواقع مع الخيال.
- تضمين فكرة عقاب الآلهة المتمثل بالمسخ، وهي فكرة قديمة لدى الإنسان، فالآلهة تعاقب الأكثر بعدا عن روح الآلهة والأقرب من حياة الحيوانات البائسة.

شخصيات الرواية:

لوكيوس	بطل الرواية وهو يجسد الفضول البشري والبحث عن الحلول = يتحول لحمار
أرسطو مينيس	صديق البطل

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص 210 وما بعدها.
[2] - ينظر: المرجع السابق، ص 41.

المحاضرة الأولى: مقياس أدب جزائري الأستاذة عزوزي بختة

ميلو	مضيف لوكيوس.
فوتيس	الخادمة وعشيقة لوكيوس، وهي التي ساعدته في التلصص على سيدتها، وأخطأت في إعطائه المراهم السحرية فحولته إلى حماربدلا من طير.
باميلا	الساحرة وزوجة مضيف لوكيوس.
اللصوص	الذين يسرقون لوكيوس – الحمار- من بيت ميلو و يبدأون معه رحلة العذاب والتنقل بين الملاك.
إيزيس – الشخصية المخلصة-	الإلهة التي تظهر في نهاية الرواية لتمثل الجانب الروحاني والإنقاذ.

القيم المستخلصة من الرواية: رغم أن الرواية لها طابع وثني ولكن فيها جملة من القيم ومررت بعض الرسائل عن المجتمع في تلك الفترة الزمنية ومنها:

- ✓ الهوية وضرورة التمسك بها.
- ✓ تجاوز الإدراك البشري والبحث عميقا في دواخل النفس البشرية وخبايا اللاوعي الإنساني.
- ✓ الإعلان عن انهيار الإمبراطورية الرومانية بشكل غير مباشر، والإشارة إلى إفلاسها من الناحية الأخلاقية (الخيانة الزوجية وعواقبها)فالمتتبع لأحداث الرواية ومغزاها يرى أنها رواية أخلاقية بامتياز، يحاول الكاتب من خلالها – أن يسردّ بعض المفاسد التي كانت في المجتمع الروماني في القرن الثاني الميلادي، وأثر هذه المفاسد السلبي على أمن المجتمع، وتماسك بنيانه، وكانت وسيلة الكاتب في التنفير من هذه القيم أو الممارسات السيئة، الربط بين كل سلوك لا أخلاقي: كالكذب والظلم والنفاق والخيانة الزوجية والسرقة وغيرها والعقاب الذي يستحقه، أخذا بمبد. العقاب من جنس العمل" [1]

تطبيق: حلل المقطع السردي الأول من الرواية- الحمار الذهبي- مستخرجا الأليات السردية.

[1] ينظر: الرواية، ص 225.